

ا.د.سعاد هادي حسن الطائي

تاريخ العصر العباسي المتأخر

المرحلة الرابعة

عنوان المحاضرة :الأصول التاريخية

للقرائين

* أولاً : أصول القراخانيين التاريخية ومناطق استقرارهم :

تعد الأمانة القراخانية أو (القره خانية) نموذجاً حياً من نماذج إمارات الاستيلاء والتي أشار إليها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، شأنها في ذلك شأن بقية إمارات الاستيلاء التي ظهرت في العصور التاريخية الإسلامية مثل الامارة الطاهرية (205- 259 هـ) / (820-872م) ، والصفارية (254-298هـ) / (867-901م)، والسامانية (261-389هـ) / (874-999م) ، والغزنوية (351-582هـ) / (962-1186م) وغيرها.

القراخانيون هم قبائل تركية كانوا مستقرين في تركستان نجحوا في فرض سيطرتهم على معظم مدنها وعلى بلاد ما وراء النهر وأسسوا لهم أمانة عاصرت الإمارات السامانية والغزنوية والخوانزمية، وهذا يعني أن الموطن الأصلي للقراخانيين كان في بلاد تركستان ومنها انطلقوا لفرض سيطرتهم على البلاد المجاورة لهم .

وتعد الأمانة القراخانية من أول الإمارات التركية الإسلامية التي ظهرت في تركستان وامتد حكم إمارتهم زهاء 230 سنة أي ما بين السنوات (380-609هـ) / (990-1212م) (11).

بينما ذكر زامباور ان حكم إمارتهم امتد اكثر من 230 سنة أي ما بين السنوات (315-609هـ) / (927-1212م) وذلك نسبة الى حكم اول أمرائهم وأول من اعتنق الدين الإسلامي منهم وهو الأمير ستوق او (سبق) بغراخان عبد الكريم المتوفى سنة 344هـ/ 955م(12).

اتخذ القراخانيون من مدينة كاشغر عاصمة لهم ، واتخذوا في مراحل تاريخية أخرى من مدينة اوزكند الواقعة الى الشرق من فرغانة مركزاً لهم ، وكانوا يعدونها مكاناً آمناً لهم واكل خطراً من المدن الداخلية الأخرى.

لقد نجح القراخانيون في فرض سيطرتهم على مدن عدة منها بلاساغون، وختن، وطراز ، هذا بالإضافة الى ما يجاورها من البلاد .

وحكمت هذه الأسرة شمال جبال تيان شان وجنوبها في الصين من القرن4هـ/10م الى القرن7هـ/13م ومن الصين انطلق القراخانيون نحو بلاد ما رواء النهر وهذا يعني ان جزء من بلاد الصين كانت خاضعة ايضاً للقراخانيين.

كانت الأمانة القراخانية تنعم بالاستقلال في حكم الأقاليم التابعة لسلطتها ، الا أنها وعبر المراحل التاريخية المتعاقبة خضعت لسيادة السلاجقة تارة ، وللخا او القراخانيين تارة للخوارزميين تارة أخرى

وقد اختلفت آراء الباحثين في تحديد الاصول التاريخية للقراخانيين ومناطق سكناهم وذلك نظراً لندرة المصادر التاريخية التي تناولت ذلك .

فقد ذكر بارتولد ان قبيلة " ياغما «التي ظهرت بين التغرغز سكنت في جزء من المنطقة التي كان يسكنها القارلوق " الخرخ وهم من الاتراك الشرقيين وهذا ما ذكره ايضاً الجغرافيون العرب في القرن5/11م .

ان هؤلاء الياغما كانوا يملكون مدينة كاشغر والمنطقة الواقعة جنوب نهر نارين المتفرع من نهر سيحون . وان ديار الياغما كانت تشمل مدينة كاشغر وقسماً من البلاد الواقعة بين الحوض الادنى لنهر ايلي الذي يصب في بحيرة ولخشن وكلاهما يقعان وراء نهر سيحون ، والمجرى الادنى لنهر شو او (جو) (chu) الذي يصب في بحيرة ايسك كول او (ايسيق كول) وكلاهما يقعان أيضاً وراء نهر سيحون ، ويمتد نفوذهم أحياناً الى جنوب نهر نارين.

كانت أمانة القراخانيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمدينة كاشغر ، فقد كانت عاصمةً لهم ولهذا أطلقوا عليهم اسم " اوردوكنت " أي " المعسكر الملكي " ، ومن هنا نستطيع ان نستنتج ان القراخانيين كانوا ينتمون الى الأقوام التي كانت تسكن مدينة كاشغر أي الى أقوام الياغما التي تنتمي بدورها الى التغزغز او الاويغور

وذكر ان القراخانيين كانوا ينتمون الى قبائل القارلوق الذين كانوا يعيشون بالقرب من حدود البلاد الإسلامية وبالقرب من مدينة طراز من ناحية الشرق ، وكانت بعض من مدن تركستان الصينية تابعة للقارلوق ، لكن حكام بعض المدن كانوا يخضعون للتغزغز ، وأكد ان مدينة كاشغر كانت تقع بالقرب من حدود بلاد القيرغيز والقارلوق والتغزغز وهؤلاء جميعاً من الأتراك ، وهذا يعني ان هجرة القيرغيز الى الجنوب لم تكن بعد القرن 5هـ/11م.

اما محمود الكاشغري فقد ذكر ان قبائل الجيكيل والياغما كانوا قد نقلوا مساكنهم نحو الشمال ، ولم يذكر مثل هذا عن القارلو.

ويذكر بارتولد ان الدليل الأقرب الى حقيقة أصول القراخانيين وبأنهم ينتمون الى قبيلة القارلوق هو ان الحاكم القراخاني لمدينة بلاساغون كان يسمى توركمن او (تركمان) وذلك في القرن 7هـ/13م. وقد ورد في عدد من المصادر التاريخية ان القارلوق كانوا يسمون مثل الغز تركمان ، وهذا امر يحتاج الى التدقيق ، فان كلمة تركمان قد وردت لأول مرة في القرن 5هـ/11م ، ولم يتم التأكد بعد ان اصل هذه الكلمة هو " ترك ماننده" أي اشباه الترك .

* ثانياً : ألقاب أمراء الإمارة القراخانية :

كان أمراء هذه الأمانة يلقبون بعدة ألقاب ، فاللقب الأول هو " قراخان " وهذا اللقب يتكون من مقطعين ، الأول " قرا " وهي كلمة تركية تعني اللون الأسود ، اما المقطع الثاني " خان " ويعني صاحب السلطة الرئيسية ، ولهذا يطلق على القراخانيين الأتراك السود . ثم تطور هذا اللقب فيما بعد واصبحوا يلقبون بلقب خاقان وهذا اللقب يعني " اعظم الملوك " او " الملك الاعظم " او " ملك الملوك " .

اما اللقب الثاني هو " ايلك خان " او " ايليك خان " ، وهذا اللقب هو لقب اويغوري . معناه الملك ، او (الأمير) ، او (الحاكم) ، او (الوصي) ، وهو بذلك ليس اسم علم ، فهذا اللقب كان يُطبق على أي أمير من أمراء هذه الأمانة حين لا يتم التأكد من اسم الأمير الحقيقي .

كان هذا اللقب في العصر الإسلامي خاصاً بعدد من أفراد هذه الأسرة ، ولهذا فإن عدد من علماء المسكوكات من الأوربيين عمموا هذا اللقب على جميع أفراد هذه الأسرة ، فضلاً عن ان هذا اللقب كان معروفاً قبل الإسلام وكان يقصد به حكام الأتراك الشرقيين . وكان هذا اللقب مفضلاً لدى حكام بلاد ما وراء النهر ، وكثيراً ما اجتمع لقب " خان " مع لقب " ايلك " ، وبناءً على ذلك فان لقب ايلك لا تعني خان ، وان حكام سمرقند بعد ان أسسوا حكوماتهم المستقلة لقبوا بلقب خان ورفعوا عن مسكوكاتهم لقب ايلك .

وقد ورد هذا اللقب في كتاب " قوتا دغو- بيليك"الذي كتبه الحاجب يوسف البلاساغوني والذي كان حاجباً للأمير القراخاني بغراخان حسن بن سليمان ارسلان.

اما اللقب الثالث الذي كان يطلق على الأمراء القراخانيين هو لقب آل فراسياب نسبة الى ملكهم الاول التركي فراسياب المنازع لملوك الفرس الكينيين.

وكان هذا الملك يلقب بلقب "خاقان الخواقين " وقد نجح في فرض سيطرته على بلاد فارس ومعظم الممالك التركية .

* ثالثاً : لغة القراخانيون

نظراً للظروف السياسية المضطربة التي عاش في كنفها القراخانيين وخضوعهم لقوى سياسية عديدة قد دفعهم الى إتقان لغات عدة .

اذ كانت اللغة الفارسية في تركستان في عهد القراخانيين تراحم اللغة العربية في ميدان الإدارة والأدب. وبقيت اللغة العربية هي اللغة المستعملة في مجال القضاء وفي معظم البلاد الخاضعة لسلطة القراخانيين حتى النصف الثاني من القرن 7هـ/13م.

وقد ذكر بارتولد استناداً الى ما جاء في وثيقة عثر عليها يعود زمنها الى عهد الأمير القراخاني بغراخان حسين بن سليمان الذي ألف في عهده كتاب قوتادغو-بيليك ، ان اللغة التركية كانت في عهد القراخانيين الى حد ما لغة اصطلاحات إدارية ، ولم يكن سكان مدينة سمرقند مثلاً ناطقين باللغة التركية ، فقد كانت توجد اصطلاحات تركية مستخدمة في عدد من المؤسسات الإدارية ، فمثلاً كلمة " اولوغ " أضيفت الى عبارة " سلطان السلاطين " والتي نقشت على عملة خانات سمرقند في نهاية القرن 7هـ/13م .

وقد ظل القراخانيون يستعملون الأسماء والألقاب التركية حتى انقرضت تدريجياً ، وكان من عادة الأمراء القراخانيين استبدال اسمه بلقب جديد يستعمله بدلاً من اسمه الخاص، ومن هنا نجد ان الكثير من المؤرخين يجدون صعوبة كبيرة عندما يجدون ألقاباً مختلفة منقوشة على العملات سكت في وقتٍ ومكان واحد ، ولا يعرفون هل هي تعود لشخص واحد ام الى عدة أشخاص، وكان القراخانيون يتكلمون اللغة الأويغورية ، وكانت عملتهم تسك عليها نقوش أويغورية إلا أن أحرف هذه اللغة قد تلاشت تدريجياً وحلّت محلها الأبجدية العربية .

*رابعاً: اعتناق القراخانيين الدين الإسلامي ودورهم في نشره في تركستان وبلاد ما وراء النهر قبل الدخول في تفاصيل اعتناق القراخانيون الدين الإسلامي ، لابد أن اشير الى أهم الديانات التي اعتنقها القراخانيون قبل اعتناقهم الإسلام . فالمصادر التاريخية لاتذكر ديانة محددة اعتنقها القراخانيون وانما تذكر أهم المعتقدات الدينية التي اعتنقها الأتراك بششم كل عام . فيذكر بارتولد أن من أهم الديانات التي عرفها الأتراك ، مستنداً من خلال ذلك على الآثار التي عُثر عليها والتي تشير معظمها الى وجود عبادة السماء والأرض ، اذ عُثر على نقوش تُشير بعبارتها (تورك كوكى) أي (سماء الترك)، وعبارة (تورك يرصوبى) أي (الترك وماؤهم) ، وكلمة (ته كرى) أي السماء ، وتعنى الألوهية ، ويمكننا أن نستنتج من خلال ذلك ومن خلال العبارات المشتملة على كلمة يرصوب أي (الأرض والماء) أن الأرض والماء كانا يكونان معاً ألوهية واحدة لاتنفصل عن بعضها البعض وهو يقصد بها أنه معين واحد .

اما عن انتشار الإسلام بين الأتراك فقد اختلف المؤرخون فيما بينهم في تحديد السنة التي أعتنق القراخانيون فيها الإسلام .

اذ ورد في عدد من المصادر التاريخية انه في سنة 349هـ/960م اعلن نحو مائتي ألف خركاه (أي خيمة او اسرة) من القراخانيين في تركستان اعتناقهم الدين الإسلامي وضحوا بالف رأس من الغنم.

وذكر عدد من المؤرخين انه في سنة 435هـ/1043م اعتنق الدين الإسلامي نحو عشرة الاف خركاه من كفار الترك والذين كانوا يتوافدون على بلاد الإسلام وفي نواحي مدينة بلاساغون وكاشغر ، وضحوا يوم عيد الأضحى المبارك بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا في معظم البلاد الإسلامية وبقي ممن لم يعتنق الدين الإسلامي من التتر والخطا في نواحي الصين

بينما ذكرت مصادر تاريخية أخرى ان عدد الأتراك الكفار ممن اعتنق الدين الإسلامي في هذه السنة كان خمسة آلاف خركاه اما المقرئزي فقد انفرد في روايته مختلفاً مع ما ذكرته المصادر التاريخية الأخرى عن ذلك ، وذكر انه في سنة 425هـ/1033م اعتنق خمسة آلاف خركاه من الأتراك الدين الإسلامي

ومن العوامل المهمة التي ساعدت على نشر الدين الإسلامي بين الأتراك الشرقيين ، الدور الكبير الذي مارسه الفقيه ابي الحسن محمد بن سفيان الكلماتي النيسابوري ، الذي خرج من نيسابور في سنة 340هـ/951م متوجهاً الى مدينة بخارى ، وقد استقر بها سنين عديدة والتحق بخدمة أحد الأمير القراخانيين ، وتوفى في بلاطه قبل عام 350هـ/961م، ومن المؤكد ان له دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي بين القراخانيين في سنة 349هـ/960م.

وكان للفقيه ابي الحسن سعيد بن حاتم الاسبانيكي الذي خرج من مدينة اسبانيكث متوجهاً الى بلاد الترك قبل عام 380هـ/960م ، دورٌ مهم في نشر الدين الإسلامي بين القراخانيين . وأول من أعتنق الإسلام من الأمراء القراخانيين هو الامير سبق ، او (ستوق) بغراخان عبد الكريم (315-344هـ/927-955) ، وهو جد الملوك الخانيين الاتراك ورئيس الفرع الغربي للأمارة القراخانية أطلق على هذا الامير لقب قراخان ولهذا سميت الامارة القراخانية بأسمه ، واتخذ من مدينة كاشغر عاصمة له ثم انتقلت فيما بعد الى مدينة بلاساغون، وشملت سلطته فضلاً عن هاتين المدينتين مدناً اخرى مثل ختن وطراز وماجاورهما من البلاد، أما الفرع الشرقي للأمارة القراخانية فقد اعتنقوا الإسلام بعد ذلك بوقت قليل عندما انتشر الإسلام في مدينة ختن وغيرها من بلاد تركستان .